مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 2 (مارس) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

دراسة أنتروبولوجية لمدينة الجزائر من خلال مصادر الرحلة الألمانية - موريتس فاغنز أنموذجا-.

An anthropological study of the city of Algeria through the sources of the German trip - Moritz Wagens as a model.

اسم ولقب المؤلف المرسل: مختاري أمحمد- Mokhtari M'hamed صص532-553
الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه وباحث مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة ابن خلدون- تيارت- الجزائر.
البريد الإلكتروني: m'hamed@univ-tiaret.dz
اسم ولقب المؤلف الثاني: دة حباش فاطمة- Habbeche Fatima
الدرجة والعنوان المهني: أستاذة محاضرة أ- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة ابن خلدون- تيارت/البريد الالكتروني:fatima_hab@yahoo/fr

تاريخ استقبال المقال:2021/03/04 تاريخ المراجعة:2021/04/18 تاريخ القبول: 2021/05/26

الملخص: تعددت المصادر التاريخية التي كتبت حول تاريخ الجزائر، وتباينت المواضيع التي تطرقت إليها متخذة من الإنسان وبيئته محوراًللدراسة، ومن أبرز المصادر كتب الرحالة التي تعتبر مصدراً مهما للمعلومات، كونها تمتاز بالتفصيل والتطرق إلى مختلف مظاهر الحياة العامة، من خلال المشاهدة العينية ومعايشة الأحداث والاحتكاك المباشر مع السكان ونقل الأخبار عنهم مشافهة، وعليهتعتبر كتب الرحلة التي تندرج ضمن المذكرات الشخصية مرآة تعكس الواقع المعاش مساهمة في ربط الماضي بالحاضر وإستمرارية التراكمية التاريخية.

من بين الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الجزائر وكتبوا عنها الرحالة الألمان، حيث تعكس لنا رحلة العالم "موريتس فاغنز"(MoritzWaganz)- أنموذج الدراسة- واقع العديد من المجالات التي عرفتها الجزائر عقب الاحتلال الفرنسي سنة1830في ظل تواجد العنصر الأوروبي. وعليه يهدف المقال إلى الكشف عن صورة الآخر من منظور غير فرنسي مع الأخذ بعين الاعتبارعدم التسليم بكل ما ورد في الرحلة، مدركين للمعيقات التي تصادف الرحالة الأجانب ومن أبرزها اللغة وقضية المترجمين والجهل بالتراث والعادات والتقاليد.

تطرقنا في هذا البحث إلى دراسة أنتربولوجية لمدينة الجزائر من خلال ما كتبه العالم الألماني "فاغنز"، حيث يعتبر شاهد عيان لمرحلة مهمة من تاريخ مدينة الجزائر راصداً لنا الحياة العامة بها ما بين سنوات 1835-1837 وما تعلق بها من جوانب اقتصادية،اجتماعية وثقافية. مبرزين مدى تأثير سياسة الاستعمار الفرنسي على المجالات السالفة الذكر، ساعين إلى إبراز النزعة التي كتب به المؤلف وتوضيح المعلومات المتناقضة مع الواقع من خلال المصادر والمراجع المتخصصة لنخلص إلى مجموعة من العناصر التي نستشفها من الرحلة.

الكلمات المفتاحية: فاغنز؛ مدينة الجزائر؛ الجزائريون؛حكم الداي؛ إدارة جيش الاحتلال الفرنسي؛ الفرنسيون؛ الأوضاع الاجتماعية؛ الأسواق؛ القضاء؛ الزواج؛ رمضان؛ المساجد؛ المسرح.

ABSTRACT: There are many sources that have been written about the history of Algeria where varied topicsmade man and his environment the focal points of the study .Notably, books by travelers are an important source for information, being characterized in detail and addressed to various public aspects of life seen through in -kind viewing , witnessing events and getting in touch with the population .The collectednews about them was conveyed verbally, and thus, the books by travelers that included personal notes are considered as a mirror that reflects the real life contributing to the linking of the past with the present and the continuity of the historical accumulation. The Germans were among European travelers who visited Algeria. In this review, the world trip of Moritz Waganz (The model we will stud)indicated many branches that Algeria knew after the French occupation in light of the presence of the European element. The article aims to reveal the image of the 'Other' from a non-French perspective, taking into account the non -acceptance of all that was mentioned in the trip , because of their awareness of the obstacles faced by foreign travelers, most notably the language, the issue of translation, and ignorance of the heritage, customs and traditions.

We dealt on in this research with an anthropological study on the City of Algeria through what was written by the German scientist Waganz , who witnessed the history of the city of Algiers, and gave deep details on the General Life by the years 1835-1837. He further provided an insight on economic , social cultural aspects. The essence of this paper unveilsthe extent of the impact of the colonialpolicy in the mentioned area, and it seeks to highlight the tendency and the trend the author used to write and clarify the the contradicting information with reality.All that will be achieved with the help of

specific sources and references that would lead us to conclude a set of elements extracted from the trip.
Keywords: Waganez;the City of Algeria; The Algerians;The rule of Day; Administration of the French Occupation Army; The French; Social situations; Markets; Elimination; marriage; Ramadan; Mosques; The stage.

المقدمة: أمست الجزائر أرضا خصبة للأقلام الأوروبية؛ فتنوعت بذلك المصادر التي كتبت عن تاريخ الجزائر وسكانها وحكومتها، وشتى المجالات المرتبطة بحياة المجتمع الجزائري، كما تنوعت الغاية والأهداف المرجوة من التأليف، فوجدت أقلاماً فرنسية معتدلة وأخرى حاقدة متعصبة تخدم مصلحة الاستعمار الفرنسي، وتسعى إلى طمس المعالم الوطنية والهوية الجزائرية، كما وجدت كتابات أوروبية توسطت الصنفين سابقي الذكر، ومن بين تلك المصادر كتب الرحالة الألمان الذين عايشوا المجتمع؛ فصورت لنا كتاباتهم وصفا للحياة العامة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، وسردت لنا صورة متكاملة حول الأحداث التي جرت في الجزائر أيام مقامهم بها.

من يتأمل في رحلة العالم الألماني "موريتس فاغنز" يلتمس التنوع في المواضيع التي عالجها، فيعرج على شتى المجالات التي تتعلق بالجزائر بصفة عامة، ومدينة الجزائر ما بين 1834و1837 بصفة خاصة من دراسة طبوغرافية وأنتربولوجية، كما زادت أهميه الرحلة من خلال تواصل المؤلف مع جل طبقات المجتمع الجزائري الذي تحكمه عادات وتقاليد خاصة في ظل نظام سياسي مستعمر يهدف إلى إحداث شرخ في الهوية الوطنية، وقطع حاضره مع ماضيه لبناء مستقبل يخدم سياسة الاستعمار الفرنسي في المنطقة.

تتمحور إشكالية البحث حول إبراز الجوانب الأنتربولوجية التي عالجها المؤلف "فاغنز" في رحلته، مع اجتهادنا في كشف الصيغة التي طغت على العبارات والمصطلحات ذات الدلالة العنصرية والطبقية المتمايزة التي وظفها. وحتى نُلِمَ بالإشكالية ونعالج جوانبها نطرح التساؤلات الفرعية التالية: ما هي المجالات التي تطرق لها الرحالة "فاغنز"؟ وهل راعى في ذالك الأوضاع التي كان يتخبط فيها المجتمع الجزائري؟ وكيف برزت ملامح تعصبه في الرحلة؟

الفرضيات:

الفرضية الأولى: تعمد المؤلف التفصيل والمبالغة في المجالات التي تبرز سلبية المجتمع الجزائري، وبالتالي تشويه صورته.

الفرضية الثانية: عدم مراعاة حال المجتمع الجزائري أواخر حكم العثمانيين، وحقيقة أنّ سكان مدينة الجزائر يعيشون في ظل الاحتلال الفرنسي، وواقع في حكم جدلية الفعل ورد الفعل.

الفرضية الثالثة: إنتقاد "فاغنز" اللاذع لمكونات المجتمع الجزائري شكلا ومضمونا وإزدرائه للجزائريين، وفي المقابل حاول استحسان أعمال الفرنسيين، مع نقد بعضها بشكل سطحي فقط.

الفرضية الرابعة: وجود معيقات أمام الرحالة فاغنز، والتي منعته من عرض صورة موضوعية حول الحياة العامة في مدينة الجزائر.

تكمن أهداف البحث في التعريف بالحياة العامة في مدينة الجزائر بعد 1830 من خلال كتب الرحلة التي تعتبر مصدراً تاريخيًّا مهماً في الدراسات الأكاديمية، مع ضرورة التحقق من محتواها من خلال مقارنة الأفكار المطروحة مع مصادر محلية ومصادر أجنبية ذات توجه معتدل، وكذلك البحث والغوص في الحياة العامة للمجتمع الجزائري. وتجدر الاشارة إلى أننا تعرضنا إلى جزئيات من النصوص المترجمة التي تخص الرحالة "موريتس فاغنز" من كتاب الأستاذ أبو العيد دودو الموسوم بـ"الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1855"، ويتمثل منهج الدراسة في المنهج التاريخي الوصفي السردي لعرض أفكار مؤلف الرحلة، وتصويرها كما شاهدها، والمنهج التاريخي المقارن لنقد الأفكار التي تناقض الواقع.

التعريف بالمؤلف الألماني موريس فاغنز (ت1887): عالم طبيعة ورحالة مستكشف، إكتسب الفضول لمراقبة الحيوانات والنباتات منذ طفولته، وبذلك كسب موهبة قبل بلوغ سن الخامسة عشر، كما أنه يميل للأدب فنظم أشعارا وكتب مقالات، لينصحه أخوه "أدولف" (Adolphe)- الذي شغل بدوره منصب أستاذ جامعي- بأن يزيد من معلوماته في علم الحيوانات. ثم التحق "فاغنز" بوظيفة تجارية في مدينة مرسيليا مكنته من زيارة الجزائر لفترة وجيزة سنة 1835، ليرجع إليها مرة أخرى بصفته مستكشفا سنة 1836، حاملا معه توصيات من باريس أتاحت له التواصل مع شخصيات بارزة مكنته من الانضمام إلى اللجنة العلمية المكلفة بإعداد البحوث عن الجزائر، وبذلك شارك كمراقب في الحملة العسكرية على قسنطينة، البليدة والرغاية. وبعد الهدنة[1] مع الأمير عبد القادر، جلب فاغنز رسالتي

توصية[1] من جنرالات الجيش الفرنسي، من بينهم "بيليسي" (Pélissier)[2]، على أساس أن فاغنز طبيب يبحث عن النباتات الطبية في مناطق وهران الداخلية[3].

وبعد رحلته إلى الجزائر زار عددا من الدول في أوروبا وآسيا وأمريكا الشماليه والجنوبية ليستقر بعدها بمدينة "ميونيخ" حيث انتخب عضوا في المجمع العلمي ليتفرغ بعدها لدراسة نظرية "داروين" (Darwin) للتطور، وبعد تقدمه في السن وعجزه وضع حدا لحياته.

تآليفه: وضع "فاغنز" كتابا عن الجزائر بعنوان رحلات في ولاية الجزائر سنة 1836، 1837، 1838 من ثلاثة أجزاء في مدينة لايف سنة 1841، شمل الكتاب في جزئه الأول وصفاً لمدينة الجزائر والمدن الأخرى التي شاهدها، وتناول الجزء الثاني تاريخ الإحتلال والمعارك التي حضرها بصفته مراقباً علمياً، والجزء الثالث أنجزه بمساعدة أخيه "أدولف"، وخصّصه لحيوانات الجزائر.

قام المؤلف في مقدمة كتابه بانتقاد من سبقه من الرحالة المؤرخيين، حيث وصفهم بالسطحية، وأن بعض تجاربهم بالجزائر ليست ذات أهمية من الناحية التاريخية، مثل "كامبل" (Campbell) الذي نجح في نظره كشاعر أكثر من كونه من الرحالة المؤرخين، ووصف ما كتبه "كامبل" بكونه لا يعدو عن انطباع سائح، كما أن المدة الوجيزة التي قضاها بالجزائر لا تخوله معرفة كل الأمور والتوسع. ليصرح بعدها "فاغنز" بأنه أهدى كتابه إلى ولي العهد الفرنسي- المرجح أنه ابن "لويس فيليب" (Louis Philippe) الذي حكم ما بين 1830- 1848- لكن دون أن يوضح أسباب ذلك ولا دوافعه.

منهج المؤلف في الكتابة: استعمل المنهج التاريخي الوصفي السردي للتعريف بعادات المجتمع الجزائري وخصائصه ومكوناته الإثنية، والمنهج المقارن للتمييز بين سكان مدينة الجزائر تارة وبين خصائص الجزائر وأوروبا والعالم الإسلامي تارة أخرى. كما استعمل عبارات سهلة بسيطة ومصطلحات واضحة بناءً على ترجمة الأستاذ "أبو العيد دودو"[4]. لكن المؤلف لم يصرح بمصادر معلوماته. كما لم يخلو كتابه من بعض مصطلحات التعصب لفرنسا حيث وصف علاقته بالفرنسيين بالوطيدة وفي حالات لم يرْضَ عنهم، ولا على ماقام به الأوروبي المُعمر بالجزائر وشعبها.

وصف الجزائريين بالهمجية وبخاصة مرافقه في الرحلة بأوصاف مزرية، وصرح بأن الجزائريين يرون في كل أوروبي جاسوساً لفرنسا. كما حذر الرحالة الألمان أمثال "شيمبر"

(Shimper) مواطنيهم من الهجرة إلى الجزائر، والعكس من ذلك فإن "فرديناند فينكلمان" (Ferdinand Winckelman) شجع هجرة الألمان إلى الجزائر، وحذا حذوه "ماكس ماريا فراهير فون فيبر"(Max Maria Fraheer von Weber) الذي نشر كتاباً سنة 1854 حول الهجرة إلى الجزائر ووسائلها وخطواتها.

إهتم الألمان بما كتب عن الجزائر قبل رحلاتهم فإنصبوا بادئ الأمر على ترجمة ما كتبه غيرهم مثل الرحالة الإنجليزي "توماس شو" (Thomas Show) المعنونة: بـ"رحلة في ولاية الجزائر سنة 1765"، وكتاب الشاعر الإيطالي "فيليو بنانتي" (Filio Bennanti) بعنوان: "رحلة إلى سواحل البرابرة 1824"؛ حيث تحدث المؤلفان عن الجزائر: جغرافيتها، موانئها، مدنها وفئات المجتمع وتفاصيل أخرى.

الهدف من ترجمة الأستاذ "أبو العيد دودو " لنص الراحالة الألماني "فاغنز": أوضح المترجم بأن الهدف من الترجمة ليس تفصيل الحديث عما هو في الكتب، وإنما استعراض أهم ما ورد فيها من حقائق تاريخية، فلعلها في نظره تحتوي على ما يساهم في تحديد ملامح الشخصية الوطنية من خلال ما كتبه هؤلاء الرحالة الألمان في الفترة المحددة، ويلقي قليلا من الضوء على الظروف التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك، ويهدينا في النهاية أفكارا وآراء تختلف عما تعودنا قراءتها في النصوص التي كانت تستهدف تجريد شعبنا من كل ماله من ميزات وسمات عربية. كما أن المترجم الأستاذ أبو العيد دودو صرح بأنه تلقى صعوبة في ترجمة النصوص كاملة لصعوبة استعارتها لمدة طويلة. ومن خلال النص نظن أنه يشير الى ضرورة الخروج عن نطاق الكتابات الفرنسية وفقط.

يرى المحقق المترجم أن الألمان لم يكتبوا حبا في الجزائر، بخاصة في الفترة الأولى من الإحتلال، وإنما جاءت كتاباتهم لتكون دليلاً للمواطنين الألمان الراغبين في الهجرة إلى الجزائر لإنشاء مستعمرات، إلا أنها حملت الكثير من الأفكار الخاطئة والمتطرفة. وعليه يجب عدم التسليم بما كتبه الألمان كونهم قد يقعون في الخطأ عمداً أو سهواً، أو لعدم إتقانهم اللغة العربية، وقلة اطلاعهم على الأحداث القومية السابقة في الجزائر.

مصطلح الرحْلَةُ[5]: الترَحُل والإرْتِحَالُ: الانتقال وهوالرحْلَةُ والرُحْلَةُ، والرُحْلَةُ:اسم للإرْتِحَالِ للمَسِيرْ.

نص المقال: **لمحة عن الحياة العامة في مدينة الجزائر من خلال الرحلة:**

1- أصل تسميه الجزائر: ذهب المؤلف إلى أن أصل تسمية الجزائر يعني الغازية الموحي بالبطولة والقوة، وقد سأل أهل الجزائر عن التسمية على حد تعبيره؛ فأجابوه بأنهاسميت بذالك كونها أخضعت المسيحيين[6].

2- عدد السكان: يعترف المؤلف أن الإحصائيات غير دقيقة، كما ذكر بأن الأوروبيين لم يسجلوا أسماءهم خوفا من التجنيد، ولكن لم يذكر مصدر معلوماته هذه، ليرجح عدد سكان مدينة الجزائر منتصف سنة 1839 بحوالي 28 ألف نسمة دون احتساب جنود الجيش الفرنسي؛ حيث تضم 9000 من الحضر و6000 يهودي و5000 من أجناس مختلطة من أهل البلد و8000 أوروبي[7].

1- 3- الحياة السياسية: أيام حكم الداي كان يصعب على القناصل وعائلاتهم وحتى اليهود الخروج في المناسبات الدينية لما يقعوا فيه من تطرف ديني وإهانات[8]، وقال بأن بعض المثقفين على الأقل لا يتمنون حلول جلاد الداي مكان الجندي الفرنسي ذي الملابس الحمراء.

1-3 الهجرة: ذكر المؤلف بأنه بعد الاحتلال هاجر حوالي خمسة عشر ألف جزائري ليحل محلهم نصف العدد من الأوروبيين.[9]

2-3 النظام القضائي: تطرق المؤلف إلى المحكمة العسكرية الفرنسية دون تفاصيل، ليستطرد في وصف المحكمة الشرعية الإسلامية الواقعة في شارع جانبي من باب الواد، وهي ذات أهمية كالمحكمة الفرنسية، وبها قاضي مالكي الذي يمثل الجانب الدنيوي عند المسلمين والمفتي الحنفي الذي يمثل الجانب الديني[10].

3-2-1- القضاء المالكي: يتميز القاضي المالكي بعمامته الكبيرة التي يشاركه فيها رجال الدين، العلماء، الأئمة، القراء، المرابطون ومعاونيه من الكتاب والمحررين، حيث يعقد القاضي جلسته في قاعة بسيطة مفروشة بالزرابي، جالساً على مقعد عالٍ عند مائدة بيضاوية الشكل وأمامه نسخة من القرآن الكريم مرصعة بالجلد المذهب، ويجلس عن يمينه ويساره كاتباه اللذان يسجلان محاضر الجلسات، ويتكفلون بإعداد وثائق عقود البيع والمحررات الرسمية كما ينصحون القاضي في بعض المسائل، وقد ذكر المؤلف وجود حوالي اثنيْ عشر كاتبا في مدينة الجزائر لهم لحى كثيفة وملامح لينة تارة ومرعبة تارة أخرى، والذين يتناوبون في العمل خلال أيام معينة.

2-2-3 المحكمه العليا: ذكر بأنها تتألف من خمس قضاة من بينهم يهودي وفرنسي، وبعد مدة أصبحت اللجنة تتكون من قاضيَيْن ورئيس له صوت واحد، والقاضي يفصل بين الأهالي، وقد تستمر المحاكمة لوقت متأخر، وبسبب أخطاء في الترجمة وقعت مهازل. وهنا نستغرب عدم توظيف القائمين على المحكمة العليا مترجمين متمكنين على حسب لغات المتنازعين حتى لا تضيع حقوق الجزائريين.

3-2-3 المحكمه العسكرية: تقع قرب باب عزون[11]، وكانت تختص بجرائم الجيش الإفريقي مثل بيع الأسلحة والذخيرة، حتى أنه طبق بها أحكام إعدام في كل أسبوع. لكن المؤلف لم يذكر أو يحدد هل من المحتمل تنفيذ حكم الإعدام في حالة رفضهم قتل الجزائريين؟

ومن القضايا التي جذبت اهتمام المؤلف وسكان مدينة الجزائر محاكمة "مونصل" وهو مسلم كان جندياً في الجيش الإفريقي إلى أن تمرد، والتحق بمقاومة القبائل[12] في الحجوط، وأصبح واحداً منهم، وقد أعجب الأمير عبد القادر به وبشجاعته وإخلاصه فعينه رسولا إلى سلطان المغرب، حتى ألقى أحد ضباط المكاتب العربية القبض عليه بسوق سيدي موسى بالزى العربي؛ وصفه المؤلف بأنه يشبه المرابطين أكثر عكس من شبهه بالمجرمين من الفرنسيين، وبعد محاكمته حكم عليه بالإعدام لينفذ ذلك أمام باب الواد، ليُقْسِمَ سكان الحجوط على الإنتقام له من قادة جيش الإستعمار الفرنسي، وكذلك لغيره من شهداء المقاومة.

4-2-3 الشاوش[13]: أو خادم المحكمة المكلف بإدخال المتخاصمين أمام القاضي، حيث يقف المتنازعان من الرجال أمام القاضي وبينهما مائدة، وإن كن من النساء، فإنهما يخاطبان القاضي من وراء نافذة مطلة على الفناء، وذكر "فاغنز" بأنه بالرغم من عدم فهم اللغة إلا أن المرافعات كانت شيقة، ليصف بعدها أطوار المحاكمة، وكيف أن القاضي جدُّ هادئ، ويستمع للمتخاصمين دون كلل أو ملل مع طرح بعض الأسئلة عليهما بين الفينة والأخرى، ويسأل الشهود، ثم يُصدر حكمه دون إبداء المتخاصمين لأي معارضة، ثم يتم تقبيل يدي القاضي قبل النطق بالحكم، الذي ينفذ في حينه.

5-2-3 تنفيذ الحكم: يكون بالضرب على الأرجل حيث يذكر المؤلف أن المدنيين يفضلون الفَلَقَة على السجن، لأن العقوبة بهذه الكيفية تحافظ على كرامتهم ولا يلصق العار بهم، وهو عقاب ظرفي عكس السجن الذي يبعدهم عن أهلهم وواجباتهم ونشاطاتهم، وقد تكون

العقوبة عبارة عن غرامة مالية، وهذا ما لا يفضله الجزائري، كما يرى أن العقوبة بالضرب ليست إنسانية ولا حضارية[14]، وعليه سعت إدارة جيش الإحتلال الفرنسي إلى تقديم مشروع لتغيير نمط عقوبة الضرب، ولكن الأهالي رفضوه. كما وصف فاغنز الفرنسيين بالمتحضرين والإنسانيين والرافضين لمثل هذه العقوبات الجسدية، ووصف الجزائريين بغير المتحضرين قائلا: "...وتركت ذلك للوقت والإحتكاك بشعب متحضر... أن يطلبوا تغيير ذلك بأنفسهم".[16]

أما بخصوص عقوبة الإعدام فقد شهد المؤلف عملية إعدام شاب عربي بباب عزون بتاريخ 20 جانفي 1837 بتهمة المتاجرة بالبارود والثورة ضد الحكومة، وقد تعمدت إدارة الاحتلال أن ينفذ الإعدام في ذلك المكان حتى ترهب المجتمعين من العرب في السوق القريب، وكان الشاب حديث زواج، ورغم ذلك تقدم نحو المقصلة بكل شجاعة وهدوء دون خوف متحديا بنظراته الشاوش إبراهيم، وبعد ترجمة التّهم له أقسم بأنه بريء، ثم توجه نحو القبلة حانيا رأسه ليصعد بخطى ثابتة كصعود الباشا على الكرسي العرش، وقد أعدم بثلاث ضربات على حسب الطريقه الجزائرية التي اعتمدتها وواصلت إدارة الإحتلال الفرنسي العمل بها، دون أن يتطرق المؤلف لذكر السبب[17].

2- الحياة الإقتصادية:

2- 1 الميناء: وصف "فاغنز" ميناء الجزائر أثناء وصول السفن والتي تكون مرة في الأسبوع، بأنه عيد للأهالي بسبب الكسب الجيد لهم، لكنه أشار إلى وجود عداوة بين العمال الإسبان والجزائريين، وعليه فرض عليهم التناوب في العمل يوما بيوم، ويتكون عمال ميناء الجزائر من العرب والزنوج والبسكريين، ليصف العمال البسكريين بأنهم يلبسون لباساً رثاً، ويأكلون الخبز الردئ مع التين والتفاح في نفس مكان نومهم وراحتهم رغم أنهم يحملون معهم المال.

2-2 الأسواق: توجد أسواق يعرض الغرباء بضائعهم فيها، وهي ليست بالضخمة، وعاد المؤلف من جديد ليقلل من أهمية الأسواق الجزائرية، والتي في نظره لا تضاهي الأسواق العربية القديمة ولا أسواق طهران، بغداد وإزمير. كما وصف أسواق الجزائر بأنها فقيرة على شكل دور العرب، بفارق احتوائها على حجرات في جانبي الفناء ولها طابقين أو ثلاثة والعديد من الغرف وحوالي أربعين محل، كما تناول طريقة كراء المحلات، والتي تكون بعد الحصول على رخصة، وكيفية عرض السلع على أبواب المحلات، ولكن التجارة في نظره غير مربحة وغير مزدهرة والثراء بالجزائر يمثل حكم الإعدام.[18]

وصف المؤلف بأن المبيعات في سوق ساحة قصر الحكومة تقتصر على البعض دون الآخر، فنجد الإسبان يبيعون الأزهار، والمالطية يبيعون الأسماك والخضر، والبرتغاليين والعرب يبيعون الطيور والحيوانات البرية، وكانت الأرقام مكتوبة بالفرنسية، والنطق بها قريب من الإسبانية إلى الإيطالية، كما ذكر مشاهدته لحيوانات غريبة تباع بالسوق[19]. لكن المؤلف لم يصفها ولم يصورها لنا بالرغم من أنه عالم مستكشف، ليقلل مرة أخرى من أهمية أسواق مدينة الجزائر مقارنا إياها بأسواق بغداد، كما صرح أن الفرنسيين قضوا على جل أسواق مدينه الجزائر[20]، وأقاموا محلها دكاكين ومخازن أوروبية.

أما محلات العرب فهي صغيرة جدا، وأغلب أصحابها من الكراغلة، وسلعها محافظ نقود، عطور، ومصنوعات حربية. والتي وصفها بأنها جميلة وذات صناعة بدائية. لكن هنا نستوقفه متسائلين عن أي مصنوعات حربيه يتحدث؟ وكيف أن الجيش الفرنسي لم يمنع بيعها؟ كما تتواجد المقاهي كذلك بين المحلات في السوق، حيث تتواجد في الحي العربي حوالي ستين مقهى تعتبر أرضا خصبة لتعلم المصطلحات الجزائرية[21].

2-2-1 محلات الأوروبيين: بعد أن قامت سلطات الإحتلال بهدم محلات[22] الجزائريين؛ أقامت مكانها دكاكين جميلة خاصةٍ بالأوروبيين، والتي تضاهي بجمالها دكاكين مدن فرنسا كتولون ونيس ذات الدرجه الثانية.[23]

2-2-2 محلات الأهالي: تقع خارج السوق، وهي صغيرة تافهة، وليست متنوعة البضائع، على شكل ثقوب مربعة لها باب خشبي مهترئ يغلق ليلاً.

2-2-3 محلات الكراغلة: تقع بشارع الديوان، وهي منظمة مرتبة تدل على ذوق أصحابها، وفي الغالب هي ملك للكراغلة[24]، وبضائعها عبارة عن مصنوعات مطرزة بالذهب مثل الخفاف، المحافظ، أدوات تزيين الأسلحة المصنوعة من القطيفة الخضراء والحمراء المغطاة بطلاء ذهبي كثيف وجميل، وسلع من روائح وعطور ورود الياسمين ومصنوعات قطنية متقنة الصنع، لكن في نظره أقل قيمة وجمالا من المنسوجات الأوروبية. وتحتوي دكاكينهم على أشياء تقليدية مثل أكياس الصيد وأحذية الأطفال، كما أن عمال المحل من الكراغلة والحضر، وهم من الأثرياء، وتوجد بعض الصناعات يصنعها الطرازون وبعض الحضريات. والبضائع اليدوية عليها إقبال بأوروبا لروعة أشكالها وألوانها، فيقوم جنود الجيش الفرنسي بأخذ التذكارات من الصناعات التقليدية عند الرجوع إلى بلادهم.

4-2-2 المقاهي: ينصح المؤلف المسافرين بزيارة المقاهي العربية، حيث كان يقضي كل أمسية في واحدة منها دون نَدم. كما أوضح بأن المقاهي تتيح للأجانب معرفة الشعب المحلي ولغته والتعابير الشعبية، ويذكر أن الأهالي لا يتحدثون فيها كثيرا عكس الحضر المتلهفين للتحدث أكثر من أي مكان أخر[25]، وأنه يمكن دراسة ملامح الناس في المقاهي. ليصف المقاهي وروادها، وكيفية جلوس الزبائن فوق الأرض، فترى الحضري جالسا بجانب التركي في لباسه الفخم، ويليه الزنجي الأسود، وبعده العربي البدوي طويل القامة، جميل المظهر، قوي البنية، يغطي جسمه برداء أبيض طويل، يضع عمامة يلفها حبل من شعر الجمل، ويجلس بجانب العربي القبائلي ذو القامة القصيرة والنظرة الثاقبة، ثم الميزابي من الصحراء والبسكري، وبينهم الفرنسي بزيه الرسمي الذي يحضر جميع الحفلات وهو ذو مزاج مرح.

يقع أجمل مقهى عربي في شارع البحري بأعمدته الجميلة والمقسم إلى مقصورات واسعة، ليذكر المؤلف أنه شاهد مقهى من هذا النوع الجيد أواخر سنة 1836 في شارع لالاهم، ولكن الأوروبيين اشتروه، وأقاموا مكانه بنايات على الطراز الفرنسي ليقضوا بذلك على الأصالة الشرقية[26] القديمة[27].

يذكر "فاغنز" أن جلّ المقاهي أيام رحلته ذات شكل مستطيل مظلمة، بها صفين من المقاعد الحجرية، تغطيها حصائر من سعف النخيل، ويقع المطبخ في آخر قبو المقهى، تقدم القهوة في فناجين من الخزف على صحن من الصفيح بها مسحوق السكر، وهي ذات طعم لذيذ وقوي، ولكن رواسب البن تناصف الفنجان، كما يقدم مع القهوة غليون أحمر ذو قصبة طويلة وتبغ ممتاز، وكل هذا بسعر زهيد يقدر بحوالي واحد سنتيم[28]، ويجلس صاحب المقهى عند مدخل الباب ليستقبل الزبائن، ويرد التحية على المسلمين: "وعليكم السلام"، وعلى الأوروبيين: مساء الخير يا سيدي، ليأمر بعد ذلك عماله بجلب القهوة بلفظ: "جيب القهوة، جيب السبسي"[29]، وعادة ما يكون الطباخ من السود، والنُدُل من أبناء الحضر ذوي وجوه شديدة البياض، يرتدون فوق رؤوسهم الحليقة قلانس حمراء، ذوي لباس نقي فاخر، لا تتجاوز أعمارهم السادس عشرة، وعلى بعضهم آثار الأعمال اليدوية[30].

توجد بشكل يومي موسيقى في المقاهي، حيث تجلس مجموعة العزف بالقرب من المطبخ، يحملون آلات موسيقية مثل الرباب والناي، ولاحظ المؤلف أن رواد المقاهي يفضلون الموسيقى الهادئة التي تدغدغ حواسهم، كما أن بعض المقاهي العربية التي تقع قرب

الكنيسة الكاثوليكية في شارع الديوان، يكثر بها العنصر الأوروبي، ومجالسها شيقة، وتحتوي على مجموعة عزف كبيرة قائدها عربي عجوز بارع في العزف على آلة الرباب، وهو من عازفي الداي الأخير، بالإضافة إلى أنه يمارس العزف في الأعراس الجزائرية وحفلات الختان لما يقارب الستين سنة.

كما يصادف المرء أحياناً بعض الفتيات الراقصات في بعض مقاهي شارع الديوان[31]، وصاحب إحدى المقاهي هو أخو إبراهيم شاوش جلاد الجزائر[32] صاحب الشخصية القوية والمكانة المرموقة بين الحضر والمعروف بثرائه. تقع جل مقاهي القصبة في القسم الأعلى من المدينة حيث يقع المقهى اليوناني، الذي كان ملتقى لمختلف شرائح المجتمع دون تمييز عرقي أو ديني، وبه موسيقى صاخبة تختلط بين أنغام الأوروبيين وبعض الأهالي وصرخات السكارى رجالاً ونساءً. ليرجع المؤلف من جديد إلى الثناء على كل ما يتعلق بالأوروبي، واصفا مقاهيم بالأصيلة.

ويعتبر المقهى الواقع في شارع الداي لصاحبه أخي إبراهيم شاوش من بين أحسن المقاهى العربية، من حيث الزبائن ونوعية القهوة، وتوفره على موسيقى وراقصات أحيانا. قام المؤلف "فاغنز" بمدح مقهى عربي والثناء عليه، ولكننا يجب التوقف هنا!؟ بحكم أن المقهى هو لشخصية عربية موالية لإدارة الإحتلال الفرنسي وبه انحرفات تخدم مصلحة المستعمر.

الحياة الإجتماعية:

1-3 العمران: ذكر المترجم بأن المؤلف تحدث عن الحيين العربي والأوروبي واصفا شوارعهما وأزقتهما لكن دون تفصيل. ليرجع إلى وصف بناية بها مدرسة ومكتبة، حيث يتعلم فيها الكثير من الأجناس العربية والفرنسية[33]. لكن دون ذكر الأجناس العربية المقصودة، هل العامة من أبناء العرب؟ أم فئة خاصة من أطفال العرب لاعتبارات معينة؟

2-3 الخاطبات: قال المؤلف بأن الشباب الحضري يبلغون سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، ويتزوج أبناء الأثرياء في سن الثامنة عشرة، بينما لا يتزوج غيرهم من الشباب إلا حين قدرتهم على إعالة المرأة. كما انتشرت ظاهرة الخاطبات في المدن، وهن عجائز كبيرات في السن لهن حرية التنقل، فإذا أراد شاب مصاهرة عائلة فإنه يبحث عن خاطبة لها علاقة بعائلة البنت أو محيطها، فتكون رسولاً بين الخاطبين والمخطوبات، فيقدم الشاب هدية

للخاطبة- الوسيط- ويعدها بأكثر إن هي قدمت له معلومات صحيحة ودقيقة عن المرأة وأهلها[34]، فإن كان الشاب غنيا فإنها تسارع لوالدي المرأة وتمدحه، وفي حالة قبول والدي الفتاة يقدمان بدورهم للخاطبة هدايا حتى تمدح ابنتهم للشاب وعائلته.

3-3 الخِطْبَة: تتم بتحضيرات الخاطبة ليلتقي بعدها الأولياء للاتفاق على الصداق، وبعد التفاهم يذهبان إلى القاضي، ويعتبر عقد زواج شكلي[35]، قد يكون المؤلف "فاغنز" قصد بعقد زواج شكلي أنه تمَّ خارج إطار الإدارة المدنية- إدارة الإحتلال الفرنسي، حيث يحدد يوم العرس ثم يقدم المال بسخاء للقاضي، ليطلب القاضي الماء المحلى ليشربوه معا، ثم يقرأ سورة الفاتحة، ويقول المؤلف إن عددا قليلا من الحضر له أكثر من زوجة.

4-3 الأعراس: هي من النوع الصاخب، وقد حضر مرتين أعراس الحضر بمدينة الجزائر، فبعد ما يعود الرجل من عند المفتي، وبعد غروب الشمس تتوجه أسرة العريس إلى منزل العروس تصاحبهم الموسيقى والفوانيس الكبيرة، فتتبعهم العروس في لباس فخم محجبة برداء أبيض حريري إلى بيت العريس، أما العرائس من بنات الأثرياء فيقطعن المسافة من بيوتهن إلى بيت العريس على ظهر البغال محجوبات عن أعين الرجال، مستورات في ما يشبه القفص[36].

بعد أن تصل العروس إلى بيت العريس تقاد إلى غرفة مضيئة[37] لتتناول الطعام مع الحضريات[38]، ثم ترقص النسوة وتتسلى[39]، كما يجتمع الرجال في فناء المنزل للاحتفال، وقد يحضر إلى وليمة العرس المدعوّ وغير المدعوّ. ليتربع الرجال فوق الأرض المرمرية؛ يدخنون ويشربون القهوة، ثم تقدم لهم قصعة كبيرة من الطعام يلتف حولها الضيوف، ويأكلون بملاعق خشبية، بعدها تقدم الأكلة الرئيسية وهي الخروف المشوي، تليها الفواكه الموسمية المختلفة وبخاصة البطيخ، التمر والبرتقال الذي يتواجد في الجزائر طيلة أيام السنة تقريبا، ثم تقدم القهوة، ويستمر ذلك حتى الصباح مع مشاهدة العروض الفنية تصاحبها موسيقى وغناء مع رواية القصص، وتحضر راقصات يلبسن ثيابا فاخرة وهن على قدر من الجمال في نظر الحضور، وأثناء رقصهن يحملن رداء أبيض أو شفافا دون أن يتغيرن من أماكنهن، ويرى المؤلف أن الأوروبي لا يرى جمالا في مثل ذلك الرقص عكس الرقص الإسباني. وقد كانت مهنة الرقص في الجزائر مربحة.[40]

أما النساء فإنهن يفرحن في الطابق العلوي مع تعالي الزغاريد التي تسمع في الحرب والسلم وفي حفلات الختان. وقال إنه في سنة 1837 عندما وقعت طلائع الجيش الفرنسي بمنحدرات المنصورة تلقتها زغاريد يصاحبها صفير الرصاص.[41]

3-5 حفلات الختان والولادة: تشبه باقي الحفلات، والمولود الجديد لا يحمل إلى المسجد ليتم ختانه في سن الرابعة، حيث يقوم بعملية الختان رجل يطلق عليه اسم "بشار"، وهو ليس برجل دين يدفع له حوالي 8 بوجو، ثم تقدم بعدها الأطعمة، وتقام الحفلة كالأعراس. وأما الفقراء فيختِنُ أولادهم دون مقابل.

3-5 الختان في الريف: يقوم بالعملية المرابط، ويعتبره البدو حفلة دينية أكثر منها دنيوية.

3-6 المقابر: استاء المؤلف من دناءة الفرنسيين الذين فتحوا المقابر الجميلة بحثا عن الكنوز، ونقلهم الحجارة إلى أماكن أخرى، والأسوء من ذلك نقل عظامهم بالسفن إلى فرنسا لمصانع سحق العظام، وكل ذلك بأوامر من "روفيقو" (Rovigo) الحاقد على المسلمين. بل واستعمل بالإكراه عمالا من القبائل والبساكرة لفتح تلك القبور وتحطيم العظام، وقاموا بذلك خوفا من الإعدام، ولكن بالرغم من ذلك قام البعض منهم بنقل العظام[41] بعناية إلى أماكن أخرى. ليذكر "فاغنز" أن الجزائريين وحتى الفرنسيين احتجوا على هذه الجرائم، وقد كتب المؤرخون المهتمين بتاريخ الجزائر عن هذه الجرائم والإعتداء على قداسة الأضرحة؛ فحدث استياء بين الأوساط الخاصة، ولكن انعدام حرية الصحافة بفرنسا حال دون وصول حقائق تلك الجرائم إلى الشعب الفرنسي.

3-7 عزة الجزائري: أثنى المؤلف على عزة العربي وأنفته في أحرج الظروف، وبقائه رافعا رَأسَه مهما اختلفت المصائب، فبعد قصة إعدام الشاب الذي لم يخف من الموت، يروي قصة أسر الجيش الفرنسي لجماعة من الجزائريين قرب البليدة سنة 1837، وعند مرورهم أمام الجنرال "دامريمون" (Damrémont) كانوا مرفوعي الرأس واضحي النظرة، وردوا على أسئلته بكبرياء وعزة، ثم يقول المؤلف: "... بأن مفهوم الحرية عند الجزائريين لا يصل إلى الحد الذي تصبح فيه الفوضى عملا مباحا، والجريمة شيئا لا يتطلب العقاب"[42]. ويرى أن سلطة الأمير عبد القادر جاءت بعد مرحلة من الاضطراب والفوضى، وبعد سقوط النظام التركي فوقعت أعمال كريهة وسرقات، وعليه التفت القبائل حول الأمير عبد القادر[43] للقضاء على الفوضى[44].

4- الحياة الثقافية والدينية:

4-1- الحياة الثقافية:

4-1-1 الاحتفاليات: ذكر المؤلف أن التحول السياسي في سلطة الفرنسيين لم تقطع الأفراح، إلا أنها فقدت الكثير من أصالتها، ولاحظ المؤلف إقامة حفلات في أوقات معينة، ففي أيام رمضان تقام حفلات القرقوز يحضرها العربي والأوروبي، حيث تُمثل دور القرقوز في شخصية البدوي الذي يمتاز بكبر الحجم والنكتة اللاذعة والهيئة المضحكة، وتتمثل وظيفته في مقارعة الجنود الفرنسيين، حيث أن صاحب المسرحية وهو أحد المترجمين يقوم متعمدا بخلط العربية مع الفرنسية حتى يتسلى الحضور من الأوروبيين، ويرى المؤلف أن تواجد الجنود الفرنسيين في المسرحية إنما هو من أجل المقارعة والأخذ والرد مع شخص القرقوز.

يرى الأستاذ أبو العيد دودو أن هذه المسرحية تعتبر شكلا من أشكال مقاومة الأرياف للوجود الأجنبي، بدليل أنه في سنة 1843 منعت إدارة الاحتلال الفرنسي الإحتفالات من هذا النوع التي تستهزئ بالجنود الفرنسيين. كما أن العرب كانوا يحرصون على إرسال أبنائهم إلى مشاهدة مسرحيات القرقوز. وهذا لاحتمالية نمو الوعي الوطني للأطفال، وتكون لهم دراية بالمحيط الذي يعيشون فيه، ومن أجل ترسيخ فكرة المقاومة وكراهية الأجنبي المستعمر.

4-1-2- تسلية أبناء البسطاء[45]: في باب الواد يتكفل عجوز تركي بإدارة عجلة كبيرة فوقها عدد من الأطفال يمرحون ويضحكون.

4-1-3- تسلية أبناء الأغنياء: يجلس الأطفال في عربات يقودها الزنوج أو البسكارة، أو في العربات الفرنسية الجديدة عليهم- الوافدة من أوروبا- فيكسب الفرنسي الكثير من المال، لأن ثمن مسافة ثلاثمائة خطوة هو سنتيم لكل طفل، والعربة تحمل الكثير من الأطفال، وتقطع المسافة بسرعة تصاحبها صيحات الأطفال وأصوات النواقيس، لكن المؤلف ذكر أن الجزائر قبل سنة 1830 لم تعرف الطرق الممهدة- إشارة منهم إلى التخلف، وأن الإستعمار الفرنسي أدخل التمدن كتهيئة الطرقات- وكان الحضري يبتهج وهو يرى أطفاله يلعبون ويمرحون، وأمهاتهم[46] يتفرجن عليهم بحرية، وهن فرحات محجبات لا ترى إلا عيونهن السود عكس أيام حكم الداي.

4-1-4- المسرح الشعبي: يتوجه إليه الكثير من سكان مدينة الجزائر؛ فيجلسون على الأرض وأبصارهم صوب الشاشة التي صنعت من قطعة ورق مشبعة بالزيت، تظهر الأشكال السوداء الناطقة مثل خيال الظل الصيني بأوروبا، ويقع المسرح العربي في أقذر زاوية من المدينة في قبو مظلم مكتظ.

5-1-4- شخصية القرقوز[47]: بدوي من شخصيات المسرحية المهمة يمتاز بضخامة الجسم ومنظره المضحك وسخريته، وهو بطل القصة، وقد ذكر المؤلف أن ما يحدث في مسرحية القرقوز يشابه ويماثل ما يحدث في مسرحية العرائس الألماني، أو مسرحيات جنوب أوروبا، فهي تتصارع من البداية حتى النهاية. كما يسمح مدير المسرح للجنود الفرنسيين بالتمثيل. ولكن يرى المؤلف أن بعض المناظرات والتمثيليات فظيعة تعلم الأطفال أنواع الآثام والسفالة، ويرى أن الشعب الجزائري غارق في الفساد والجبن والذلة والعبودية[48]. كما أن إدارة الاحتلال متسامحة مع هكذا مسرحيات حتى ينتشر الفساد والانحلال[49]، ولا تأخذ ضرائب عن بعض الأماكن التي تقام فيها المسرحيات عكس مرحلة حكم الداي، وتزودهم بالفتيات حتى يعم الانحلال و لذلك زاد عددها.

4-2- الحياة الدينية:

1-2-4- شهر رمضان: إن الإعلان عن بداية شهر رمضان تتم بإطلاق مئة طلقة من مدفع كبير مثبت في الميناء، ولكن هذا ليس كرماً من طرف الفرنسيين للجزائريين، وإنما تفرض السلطات المدنية على سكان مدينة الجزائر دفع خمس فرنكات[50] عن كل طلقة، وبعد الإعلان يتم تعليق مصابيح كثيرة فوق منارات المساجد لتضيء الهلال المقام فوقها، ويقف المؤذن بثيابه الجميلة بين المصابيح المنيرة رافعا العلم الأبيض، ثم يدعو المؤمنين للصلاة.

2-2-4- طعام الصائمين: في الليل يتناول سكان مدينة الجزائر الصيام الكسكسي بالزيت، يضاف إليه اللحم المقلي والفواكه، بعدها يتوجهون إلى المقاهي العربية لمشاهدة العروض الهزلية، المتمثله في أشخاص بزي حيوانات ورجال، وبها إشارات وحركات مثيرة، وسخرية ومناظر لا يليق وصفها أو الحديث عنها[51].

3-2-4- احتفاليات رمضان: قال بأن المسلمين يحرصون على سماع الموسيقى في رمضان ومشاهدة الرقصات[51] والمسرحيات الهزلية المتنوعة. التي تذكره بأعياد الكرنفال بأوروبا متسائلا إن كانت عادات إسلامية انتقلت إلى المسيحية كما انتقل غيرها من التقاليد.

وأن الجزائريين يحرصون على الصيام بشدة، مستدلا بذلك على مساعده البسكري الذي استخدمه للترحال داخل البلاد في سهل متيجة، وقد أضاعوا المؤونة، وبقوا لما يفوق أربعة وعشرين ساعة دون طعام، ومع الفجر رجعوا إلى مدينة الجزائر، وأخذ المؤلف يتناول طعامه، وبعد مدة وجد مساعده البسكري منهكا جالسا في الميناء سائلا إياه إن تناول الطعام، فأجابه البسكري بأن الله أمرنا بالصيام، ليكمل يومه دون طعام حتى المساء، وبعد أن سمع طلقة المدفع أخرج الخبز من قلنسوته ليتناوله كالمجنون بجشع[52].

4-2-4- عيد الفطر: بعد رمضان يحتفل المسلمون بالعيد الذي به بهجة، فيستيقظ المسلمون على الموسيقى الصاخبة التي يعزفها السود المتوشحين أجمل الثياب، وهم يعزفون ويهتزون بحركات الفنانين السود بمظهر غريب مضحك، ويلتفون حول الأجانب طالبين منهم ثمن التسلية، فيضطر للخروج من بينهم بدفع قطع نحاسية، وكانت فرق السود على عهد الدايات يعزفون الموسيقى للداي لإيقاظه صباحا أيام العيد، وكانوا يعزفون في القصبة، وهم اليوم يفعلون ذلك أمام بيوت الأغنياء من الحضر والكراغلة.

4-2-5- لباس العيد: يرتدي المسلمون لمدة ثلاثة أيام أفخر الثياب وأجملها، ومن الأطفال أبناء الأثرياء من يلبس الثياب المطرزة بالذهب والفضة، ويلبسون السراويل المصنوعة من الصوف والقطن، والنساء والفتيات محجبات يجبن الشوارع العامة بكثرة كعدد الرجال. ويتعانق الرجال مع معارفهم في الشوارع، ويرشُ أطفال الأوروبيين بماء الورد تحية لهم[53].

4-2-6- المساجد: يقول المؤلف إن عدد مساجد مدينة الجزائر أيام إقامته بها حوالي تسعة وثلاثين مسجداً، وهي مكتظة بالمصلين، وذكر المؤلف أنه من شدة فضوله واستغرابه شارك بالصلاة، كما أن المسلمين لا يمنعون أحدا من الدخول إلى مساجدهم مع خلع أحذيتهم[54].

يؤكد المؤلف أن إدارة الاحتلال الفرنسي قد هدمت[55] الكثير من المساجد بحجة توسيع الشوارع، أو إقامة بنايات في مكانها لخدمة مصالحهم. كما نقلت بعض الأعمدة المرمرية لأماكن أخرى، وحولت بعض المساجد إلى مخازن أو مسارح وسكنات حيث قال: "... هكذا اعتدت فرنسا على حرمات المسلمين، وذلك مالا يغفره لها الجزائريون ولن ينسوه أبدا".

4-2-7- الجامع الكبير: تضاء العديد من المصابيح في شهر رمضان، ويؤم الناس شيخ الإسلام بصورة جديرة بالإعتبار، كما أن المسلمين في الصلاة لا يقيمون اهتماما بالأصل ولا النسب، فيصلي الحضر والعرب والقبائل والبسكري والزنوج والكراغلة معا، ويجلس التركي

بثيابه الفاخرة وبجانبه البسكري المتسخ الثياب والحضري شاحب الوجه غالبا والزنجي المشوه، وفي أثناء الصلاة يلف المسلمون سبحة حول أيديهم، وقد أخذ المسيحيون هذا التقليد عنهم. وترى المسبحة بيد المرابطين والأئمة وشيوخ البدو وأولياء البلد ومنهم الأمير عبد القادر، وبعد الصلاة يبقى المصلي في مكانه حانيا رأسه إلى صدره، ويهز حبات المسبحة مرات عدة، ويتمتم بكلمات معينة، وبعد الخروج من المسجد إلى الفناء يغسل المسلمون أيديهم وأرجلهم في عين مرمرية تحيط بها أشجار الفواكه، ليرتدوا نعالهم من جديد تاركين المسجد بوقار وخشوع، ليتوجه كل إلى حياته وأعماله الخاصة. ويرى المؤلف أن المسجد يلغي التباين بين الطبقات. ولكن يرجع لينتقد المسلمين بقوله: إنهم بعد خروجهم من المسجد لا يتوانون عن سلب إخوانهم أو قتل مسيحي[56] يجدونه وحيدا[57].

4-2-8- المدارس: صرح المؤلف أن عدد المدارس قبل الاحتلال الفرنسي كانت حوالي 100 مدرسة، ولكن بعد الاستعمار تراجع العدد إلى النصف تقريبا، وذكر العلاقة الطيبة بين المدرس الجزائري وطلبته. كما تحتوي المكتبة على 600 كتاب من نفائس المخطوطات التي استولى عليها الفرنسيون عقب حملتهم على قسنطينة وكذلك من مساجد الجزائر[59].

تحليل النتائج: عالج المؤلف مواضيع سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية ودينية للمجتمع الجزائري؛ مركزا على مدينة الجزائر التي بقي فيها جل مدة الرحلة، فتطرق إلى الأسواق وما تحتويه، القضاء، فئات المجتمع وعاداتهم، وثقافة الاحتفالات الشعبية، ثم المناسبات الدينية من صيام شهر رمضان والاحتفال بعيد الفطر، وكذا المساجد. مركزا على السلبيات، محوّرا لبعض العادات والتقاليد المتأصلة في أعراف المجتمع إلى مظاهر غير حضارية. ليصرح بأن الفرنسيين متحضرين، متجاهلا نتائج الاحتلال وجرائمه، ثم رجع ليذكر بأن الجرائم التي ارتكبت في حق المقابر لم تصل إلى الشعب الفرنسي بسبب فقدان حرية التعبير والصحافة بفرنسا؛ فأين الحضارة والتمدن في ذلك؟ كما تعمد المؤلف تقسيم المجتمع الجزائري إلى طبقات متمايزة متناقرة فيما بينها- بإستثناء واحد هو أثناء تأدية الصلاة في المسجد-.

تعمد المؤلف مقارنة محلات وسلع الجزائريين بالسلع الأوروبية، حيث قلل من أهمية الأسواق الجزائرية وسلعها؛ متجاهلا سياسة إدارة الإستعمار الفرنسي التي قضت على الحرف والحرفين، ونفت الأثرياء وهدمت المحلات بشهادة نصوص مصدرية كحمدان خوجه

الذي شهِد تهديم محلات كثيرة، وفي نظره قضوا بذلك على الصناعات، و"ألكسي دو طوكفيل "(Alexis de Tocqueville) الذي صرح بأن إدارة الاحتلال الفرنسي قد أخطأت عندما نفت الأثرياء والزعماء من الجزائر، وبذلك صعب تسيير البلاد فتعطلت الحياة بها.

ليلتمس المؤلف الأعذار للجرائم التي قام بها الاحتلال الفرنسي في حق الأحياء والأموات، وتراث الأمة من المخطوطات، والاعتداء على العمران والأملاك الدينية، وقد تناسى المؤلف جرائم الاحتلال الفرنسي من قتل وتنكيل وسرقة للتراث المادي واللامادي، حيث شهد بنفسه على ذلك أثناء حملة جيش الإحتلال الفرنسي على مدينة قسنطينة.

لم يراع المؤلف أوضاع الجزائريين أواخر عهد الدايات ولا بعد الاحتلال الفرنسي، معرضاً عن ذكر مناقب سكان مدينة الجزائر وأخلاقهم الحميدة، ولكنه في المقابل يشير إلى عدوانية الجزائريين اتجاه الأجانب، والتي هي ردة فعل عن الإحتلال الغاشم وجرائمه. بل سعى المؤلف إلى تأكيد حقيقة أن المجتمع الجزائري في المدن أصبح منفتحا إجتماعيا ودينيا بعد سنة 1830، فمثلا لمح إلى أن النساء بالشوارع عددهن أيام العيد يقارب عدد الرجال، وذكر أن سكان مدينة الجزائر قد قَبِلُوا التواجد الفرنسي، ووصف بعض الاحتفالات التي تحتوي على أمور غير أخلاقية؛ مناقضا ما صرح به "فاغنز" شخصيا كون إدارة جيش الاحتلال دعمت ونشطت كل ما هو غير أخلاقي، وهذا ما دعا إليه منظر الاحتلال ألكسي دو طوكفيل حيث قال في كتابه: " ...من الضروري والأحسن ترك الجزائريين في الخرافات...".

حرص المؤلف على استعمال مصطلحات ازدراء في حق سكان الجزائر؛ فوصفهم بأنهم غير متحضرين ولا إنسانيين، وأثني على الفرنسيين المتحضرين في نظره. لينتقد كره سكان الجزائر للمسحيين، وهم الذين سلبوا الأملاك والبلاد ضمن مخطط الاستيطان الرسمي وغير الرسمي، ونستشف من خلال رحلته ترسيخاً واضحاً للطبقية الإجتماعية.

بما أن الدراسة تندرج ضمن الدراسات الأكاديمية والدراسة الموضوعية، نتسائل هل مشكل اللغة والترجمة كان عائقا أمام الرحالة فاغنز في وصف واقعي لمدينة الجزائر؟ ونجيب أنه كان من الممكن للمؤلف أن يستعين بمترجم، خاصة في ظل علاقاته الجيدة مع الفرنسيين حيث يسهل عليهم توفير مترجم خاص له. كما أنه لم يكتف بوصف ما شاهده فقط، بل سمح لخياله بأن يتطرق إلى نقاط خارج نطاق الزمان والمكان دون توضيح مصادر معلوماته.

الخاتمة: شهدت الجزائر مراحل حكم متباينة أوجدت تاريخاً ثرياً متنوعاً، أتاح المجال أمام المؤلفين للكتابة عنه بدوافع متباينة، ومن بين المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ الجزائر الرحالة الألمان الذين تطرقوا إلى العديد من المجالات، ومنهم "فاغنز" الذي تطرق إلى تاريخ الجزائر ما بين 1835 -1837 معرجاً على الحياة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والدينية. جاعلا مقارنات غير منصفة بين الفئات الاجتماعية في مدينة الجزائر، وكذالك الصنائع المحلية والأوروبية، منتقداًالعادات والتقاليد، متجاهلا الأوضاع الإجتماعية، ممجدا للحضارة الفرنسية، غافلا عن الجرائم الاستعمارية، مموها للحقائق التاريخية. ومن خلال ماسبق ذكره نخلص إلى عدة نقاط مهمة:

- إن المجالات التي تطرق إليها "فاغنز" والمعلومات التي سردها لا تعكس صورة واقعية عن مدينة الجزائر.
- لم يلتزم المؤلف بالموضوعية حيث طغت على نصوصه النزعة الذاتية، والنظرة العنصرية للآخر الجزائري.
- سجل المؤلف معلومات وأحداث مهمة لم يعايشها، يشوبها الغموض في ظل تجاهل ذكر مصادر معلوماته.
- لم ينتقد كل أعمال الفرنسيين، بل وصفهم بالمتحضرين مبرراً أفعالهم واصفاً إياها بالإنسانية.
- لم يراع أوضاع المجتمع الجزائري المتأثرة باضطرابات نهاية الحكم العثماني، لتليها مرحلة الاستعمار الفرنسي.
- طغت على كتاباته نظرة الازدراء للجزائريين ومعتقداتهم.
- مساعي المؤلف إلى زرع فكرة الطبقية والتباين في المجتمع االجزائري.

الهوامش:

1- بما أنه لم يكن لقادة الجيش الفرنسي أية سلطة في نطاق حكم الأمير عبد القادر، فمن المرجح جداً أن رسالة التوصية كانت بناءاً على بنود معاهدة التافنة التي أبرمت بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو بتاريخ 30 ماي1837، والتي تظمنت خمسة عشرة بندينص البند "الرابع"على حرية تنقل الأفراد بين المنطقتين- ينظر: يوسف مناصرية،مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1990. ص.23.

2- "بليسي"(Pélissier)1794-1869: من مواليد "Maromme قربRouen». بتاريخ 06-11-1794، تخرج من سان سير في 1815. شارك في عدة حروب بإسبانيا سنة 1823، عين قائدا الأركان بمدينة وهران في 02-11-1839، كما شارك في العديد من الحملات العسكرية. عين حاكما عاما للجزائر 1860. ينظر:حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844-1870تيارت، سعيدة، جرفيل، البيض نماذجا، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2014/2013، ص31.

3- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830 – 1855، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،،الجزائر، 1975، ص.31.

4-التعريف بالأستاذ أبو العيد دودو(1934- 2004): أدخله والده الكتاب وهو صغير، ثم كفله أحد أقربائه بقسنطينة حيث أُلحِقَ بالمدرسة القرآنية بجي سيدي بوعنانة، ليتشرب الأدب على يد الشيخ الصادق حماني. ثم دَرَسَ بمعهد عبد الحميد بن باديس، ثم انتقل بعدها إلى جامع الزيتونة للحصول على الشهادة الأهلية، ومنها سافر إلى دار المعلمين العليا ببغداد ليتخرج منها سنة 1956. ثم انتقل إلى النمسا فتحصل من جامعتها على دكتوراه سنة 1961م. كان الأستاذ ناقدا أدبيا ومترجما، درس بالجامعة التي تخرج منها ثم بجامعة "كييل بألمانيا" قبل أن يعود إلى الجزائر، واشتغل أستاذا في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة الجزائر.، ليترجم جزء من الرحلة الموجودة على مستوى مكتبة "جامعة فينا" باللغه الألمانية. توفي في جانفي 2004. رؤوف قماش، سيميولوجية الشخصيات القصصية عند "أبي العيد دودو"، رسالة ماجستار، كلية الأداب و اللغات، قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، جوان2005، ص 2---4.

5- إبن منظور، لسان العرب- تح: عبد الله الكبير وآخرون،د.ت، ص1610--- 1611.----6- وقد صرح فيلهم شيمر بأن أصل تسمية "الجزائر" يرجع إلى الفياضنات التي تغمر متيجة. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830- 1855 الطب الشعبي الجزائري في بداية الإحتلال أ-ف- شونبيرغ، طبعه خاصة،المجلد الأول، 2009، ص11؛ و يرى الرحالة العالم الألماني هابنسترايت بأن أصل التسمية يرجع إلى وجود جزيرة قبالة مدينة الجزائر بالقرب من الساحل. رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/ 1732م،تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، ص 24.----7- بالرغم من أن المؤلف انتقد من سبقه من الرحالة لتقديمهم إحصائيات إعتباطية لغياب السجلات لدى حكومة الجزائر، إلاأنه قدم لنا بدوره إحصائيات دون توضيح مصادر هذه المعلومات؟ ؛ وذكر الرحالة الألماني فيلهم شيمر بأن عدد سكان مدينة الجزائر في حدود مئة ألف نسمة. أبو العيد دودو- جزئية فيلهم شيمر، ص11.

8- المصدر نفسه،ص70؛ كما ذكر جون وولف بأنالقناصلة أصبحوا أقل عرضة للخطر، وسمح لهم بمغادرة البنايات القنصلية والذهاب خارج المدينة وإقامة علاقات مع التجار والأغنياء من سكان الحضر وحتى مع بعض الرياس. جون- ب- وولف، الجزائر وأوروبا 1500- 1830- تر: أبو القاسم سعد الله،عالم المعرفه،الجزائر،طبعة خاصة، 2009،ص221.----9- ألكسي دوطو كفيل، نصوص من الجزائر في فلسفة الإحتلال والإستطان،تر: ابراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية،ص 15.

10-صرح حمدان خوجة أنه من خلال قانون 22 اكتوبر 1830 والذي جعل في مادته الأولى: أن القضاء حكمه للقاضي العربي أما القاضي الحنفي فلا يكون له إلا صوت إستشاري فقط، وتم إلغاء المحكمة الحنفية والإبقاء على محكمة اليهود. حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تح: محمد العربي الزبيري، منشوراتANEP، ص210-212؛ ليذكر بليسي بأن الإدارة الفرنسية أدخلت تغيرات في القضاء من خلال تشريعات،ففي كل القضايا التي يكون فيها مسلم يساعد مستشار مسلم القضاة بتصويت إستشاري؛كما تم إنشاء قانون محاكم مختلطة مؤلفة من أوروبيين والسكان الأصليين وضع الأهالي المدانون بالجرائم ضد الاشخاص الأوروبيين وممتلكاتهم تحت وصاية ولاية مجلس الحرب، وقضايا المسلمين يفصل فيها القاضي المسلم والقاضي الموري، والحكم غير قابل للإستئناف سواءاً في الحالة المدنية أو الجنا ئية. ولكن قضايا بين مسلم ويهودي قا بلة للطعن، بليسي، حوليات جزائرية، تر: دليلة حياني، دار أصالة، المجلد رقم واحد، ص111-122.----11 - تنفذ الأحكام علانية ضد سكان الحضر بالجلد عند باب عزون. هابنسترايت، نفس المصدر، ص39.----12- وقال ألكسي دوطو كفيل عن القبائل ونظرتهم للأجانب: "فقد إزدادت عن ذي قبل صعوبة الإقتراب منهم وإمتزجت كراهيتهم الطبيعية للأجانب بنفورهم الديني الذي كانوا يحسونه إزاء المسيحيين وهم لا يعرفون لغتهم ولا أخلاقهم. ينظر: ألكسي دوطو كفيل، نفس المصدر، ص19.

13- الإعدام يتولاه الشاوش، وهم الضباط الرئيسيون في قصر الداي-سابقا -ينظر: هابنسترايت، نفس المصدر، ص.39

14- وقد تناسى المؤلف جرائم الاحتلال الفرنسي من قتل وتنكيل وسرقة للتراث المادي واللامادي، وهذه الجريمة شهدها بنفسه في حملة الجيش الفرنسي على مدينة قسنطينة.----15- هنا إشادة واضحة من المؤلف بالحضارة الانسانية للاحتلال الفرنسي متناسيا جرائمهم ضد الأحياء،وحتى قبور الموتىلمتسلم منهم، و كذا الاعتداء على العمران والأملاك الدينية.----16- أبو العيد دودو- جزئية موريتس فاغنز -، ص60-61.----17- نفسه- ص36.----18- دون أن يفصل المؤلف أو يحدد لماذا هذا الحكم؟.معوجود إحتماليةأن يكون ذلك بسبب الضرائب الكبيرة.

19- نفسه، ص 32.----20- نفسه، ص35.----21- عندما أراد ليون روش تكلم اللغة العربية راح يمرن لسانه في المقاهي الشعبية وحضور جلسات قضاء المسلمين . **ينظر**:يوسف مناصرية، نفس المصدر،ص15.----22- صرح حمدان خوجة بأنه وقع تهديم للعديد من المحلات، ومن جراء ذلكتم القضاء على الصناعات والحرف، كما تم تهديم المساجد والمصانع ومحلات السوق الكبير ومحلات صائدي الأسماك .ينظر:حمدان خوجة، نفس المصدر، ص 246.----23- أبو العيد دودو –جزئية موريتس فاغنز-، نفس المصدر، ص62.----24- عاد المؤلف من جديد لتصنيف سكان مدينه الجزائر إلى طبقات، وأن الجزائريين أدنى مستوى من الكراغلة.----25- نفسه، ص63.----26- كأنه يلمح بأن الثقافة الجزائرية هي جزء من الثقافة الشرقية، دون وجود تراث جزائري محلي خالص قائم بحد ذاته.----27- نفسه، ص64.----28- واحد سنتيم: دون ذكرى العملة الأساسية.

29- ترجيح: مصطلح السبسي يعني حلوى تتخذ من الدقيق والسكر والسمن. موقع معاجم، تاريخ إطلاع الباحث: 25-12-2020- 21:32، رابط الموقع الإلكتروني: السبسي /https//www.maajim.com/dictionary .----30- أبو العيد دودو- جزئية موريتس فاغنز، ص64-65.----31- نفسه، ص65.----32- إبراهيم شاوش جلاد الجزائر: لم نعثر له على ترجمة.----33-أبو العيد دودو –جزئية موريتس فاغنز-،نفس المصدر، ص33 .

34- نفسه،ص73.----35-لم يحدد قصده في قوله عقد زواج شكلي!؟----36-من الممكن جداً أن المؤلف يقصد الهودج .----37-نتسائل كيف إستطاع المؤلف"فاغنز" الوصول إلى وصف جهة من المنزل خاصة بالنسوة وهو أجنبي عنهم؟؛ ليأكدلنا الرحالة هابنسترايت بأن سكان مدينة الجزائر يعمدون في بناء المنازل على أن تكون الأجنحة الداخلية منفصلة حتى تظل النساء في معزل،وأنهم يهتمون بغرس النباتات والورود ويلتزمون بقواعد النظافة وهذا من التحضر. هابنسترايت، نفس المصدر،ص37.----38-أبو العيد دودو –جزئية موريتس فاغنز-، نفس المصدر، ص71.----39 - لكننا نستغرب كيف أن الأجنبي الألماني قد لاحظ تقاليد النساء،وهو شيء محرم ممنوع حتى على المسلمين من دون المحارم.

40-نفسه، ص72---74.----41- بما أن العملية تتم تحت مراقبة الجيش الفرنسي،فكيف قام العمال القبائل والبساكرة بتهريب العظام؟ ولماذا لم يفصل في ذلك؟----42-نفسه،ص 36-37.----43- لكن الأمير عبد القادر رفع راية الجهاد مع القبائل ضد المستعمر الفرنسي، فأرسل البيانات إلى القبائل داعيا إياهم إلى الطاعة والدفاع عن وطنهم. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ط4، ج2،ص41؛ كما أصدر الأمير عبد القادر بياناً يدعو فيه القبائل إلى القضية المقدسة وهي الجهاد ضد المحتل وذلك بتاريخ 22 نوفمبر 1832؛ شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تح: أبو القاسم سعد الله، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص86---87.

44-أبو العيد دودو- جزئية موريتس فاغنز، ص37----45- ذكر هابنسترايت بأن الشعب يتسلى بكل أنواع الألعاب طيلة أيام العيد، هابنسترايت، نفس المصدر، ص49.----46- أشار هابنسترايتإلى غياب النساء عن الحياة العامة وإحتشامهن الشديد فلا يسرن في الأزقه بدون حجاب ويتنقلن في ستائر غريبة، هابنسترايت، نفس المصدر، ص 47.----47- أبو العيد دودو- جزئية موريتس فاغنز، ص68.

48-قام المؤلف بتجاهل حقيقة أن الاستعمار فرض علي الجزائرين بالقوة، كما أنه لم يطلع على أحوال الجزائريين أواخر العهد العثماني، ومساهمة إدارة الإحتلال الفرنسي الذي شجع الإنحلال الخلقي.----49-صرح ألكسي دوكطوفيل أنه:" ...من الضروري والأحسن ترك الجزائريين بالخرافات والجهل والسعي إلى إنقراض علماء الدين الطبيعيين الذين حرضوا الشعب ضدنا." ألكسي دوطوكفيل، نفس المصدر، ص129.----

50- ذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني أن العملة في الجزائر قبل الإحتلال تعرف بالريال بوجو المقسمة إلى 24 موزونة، وفي قسنطينة حتى سنة 1831 أمسى (1,06 فرانك=1بوجو)، وبسبب إحتكار اليهود للعملات والمعادن الثمينة تراجعت قيمة البوجو، ناصر الدين سعيدوني،النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني1792-1830 - البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الطبعه الثالثة، ص315--- 323.

51-نستغرب تصريحالرحالة « فاغنز"بأن العامة يتوجهون في رمضان للسهرات والمسرحيات البذيئة، دون الاشارة إلى أن إدارة الاحتلال الفرنسي لها يدٌ في ذلك كونها شجعت على نشر الانحلال الذي تشربه فقط ضعاف القلوب، وهذا ما شهدَ عليهالمؤلف بنفسه؛ كماصرح الرحالة هابنسترايت بنقيض نظرة "فاغنز"حول الصائمين،حيث تحدث عن العصاة في رمضان وحالهم-فما بالكم بأصحاب السيرة المستقيمة-. فقال هابنسترايتفي كتابهبأن العصاة يمتنعون عن شرب الخمر طيلة شهر رمضان، هابنسترايت، نفس المصدر، ص48.

52- وضح هابنسترايت بأن الصيام منهك لفئة البرانية لعملهم الشاق،**ينظر**: نفسه، ص 48.----53-موريتس فاغنز، نفس المصدر، ص66---70.

54-صرح الرحالة هابنسترايت أنه لا يمكن للمارة في الشارع التعرف على ما بداخل المساجد. ليقوم في جزئية أخرى بوصف مسجدٍ من الداخل، وهذا دليل على أنه سمح له كأجنبي بدخول إحداها،هابنسترايت، نفس المصدر، ص38.----55-إن الفرنسيين لا يشتكون من السكان ظلما ناتجا عن التعصب أو الإختلاف في الدين؛ينظر: حمدان خوجه، نفس المصدر، ص66.----56-أبو العيد دودو –جزئية موريتس فاغنز-، نفس المصدر، ص 67؛ كما وضح هابنسترايت علاقة الجزائري مع غيره،قاصدا تصحيح معلومات"... ما كتبه من سبقه سوف أعرض ما يلي: فهم أفراد بعيدون عن التوحش يقدرون الأجانب...". هابنسترايت، نفس المصدر، ص24.----57- أبو العيد دودو- جزئية موريتس فاغنز، ص33.